أُسس التكافل الاجتماعي عند الصالحين

م.د مسلم حسين عطية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد المصطفى الأمين واهل بيته الطيبن الطاهرين.

واما بعد؛ فإن بحثي الموسوم ب" أسس التكافل الاجتماعي عند الصالحين" قد تناولت فيه اهم الأسس والقضايا التي تتعلق بانسانية المرء وسلوكه في التعامل مع أخيه الانسان، ليصل الى الغاية الإلهية التي جاءت من اجلها الرسالات السماوية، وبذلك نجعل من بحثنا الذي يحمل في طياته المعاني الإنسانية جسراً حقيقياً يجسد تلك المعاني ، وهنا نقف عند الصورة التي بيّنها الامام علي –عليه السلام– بوصيته المشهورة لمالك الاشتر – رضي الله عنه– حينما ولّاه مصر، فقد أوصاه فيها بالرعيّة قائلاً: " ان الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق " فجانب الإحساس بالمسؤولية والتكافل الاجتماعي في مدرسة الصالحين متمثلة ب ال بيت النبوة – عليهم السلام– واضح وجلي لا لبس فيه ، والتي هي علاقات اجتماعية مبنية على التعامل الإنساني باحترام الكبير والعطف على الصغير ومساعدة المحتاج النابع من جوهر القلب الطاهر، والواعز الايماني الذي يعبر عنه التعامل الواقعي والحقيقي بالعطاء المعنوي والمادي ، فالفقير عدّ في مدرسة الصالحين شريكاً للغني في أمواله، فهو حق ضمنته الشريعة له، وقد جعلتهم الشريعة أصنافاً وفقاً لاستحقاقاتهم المادية؛ لان التكافل الاجتماعي هو نافذة واسعة للمحتاجين والمحرومين من أبنائه لينطلقوا في الحياة ويسهموا في البناء الإنساني.

منهج البحث

في هذا البحث عن التكافل وفق منظور مدرسة أهل البيت (ع) اعتمدنا((المنهج النقلي)).

خطة البحث

وقد قسمت البحث الى مقدمة ومبحثين رئيسين لكل مبحث أربعة مطالب واما الخاتمة فقد تناولت فيها اهم ماتوصلت اليه من نتائج.

المبحث الأول :المبادئ الأساسية الايمانية .

المطلب الأول: مبدأ الاخوة الايمانية.

المطلب الثاني: مبدأ المسؤولية العامة.

المطلب الثالث: مبدأ الايثار.

المطلب الرابع: مبدأ قيم التراحم.

المبحث الثاني: المبادئ الأساسية بتبادل المنفعة.

المطلب الأول: مبدأ التعاون والإحسان.

المطلب الثاني: مبدأ السيادة والسماحة.

المطلب الثالث: مبدأ الخدمة المتبادلة.

المطلب الرابع: مبدأ الجود والانفاق.

الخاتمة.

المبحث التمهيدي: التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول : التعريف بالمفاهيم:

اولاً : تعريف الأسس:

١- **الاسس لغة:** جمع أساس ، و(الأساس أصل البناء ، وجمع الاساس أسس) [١]، وهذه المادة من الهمزة والسين تدل على الاصل والشيء الوطيد الثابت [٢] ، فالأس : أصل البناء ، وكذلك الاساس ، والاسس مقصور منه .وقد اسست البناء تأسيسا .وأسَّ البناء يؤسه أسا ، وأسسه تأسيسا ، وأسست دارا اذا بنيت حدودها ورفعت من قواعدها[٣] ، فالأس ما يبتنى عليه.

٢- **الاسس اصطلاحاً:** الحاجة الى الاساس ضرورة ، سواء في الامور المعنوية أو الحسية ، اذ أنهما عبارة عن بناء ولا شك أن علو البنيان على قدر توثيق الاساس واحكامه و متى كان الأساس وثيقاً حمل البنيان واعتلى عليه ، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه ، واذا كان الاساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت ، واذا تهدم شيء من الاساس رصين سقط البنيان او كاد ، وكذا كل منظومة فكرية مالم تبنى على اساس رصين تهاوت او كادت ، فأساس كل شيء فكرة ، اساسها الخبرة العلمية والعملية وقبولها العامة التي لا غنى عنها للناشئ[٤] .

من هنا فان الاساس : هو مجموع ما تتـــــقوم به الارضية التي تبتنى عليها أي قاعدة من الامور الحسية والمعنوية .

ثانياً: تعريف التكافل الاجتماعي:

١- التكافل لغة: هو القائم بأمر اليتيم المربي له ، سواء كان الكافل من ذوي رحمه أو أنسابه أو كان أجنبيا ، والتكافل في اللغة تؤخذ من مادة كفل وتأتي على معان متعددة ومنها:

أ- تاخذ معنى النصيب وكذلك الضعف والمثل، قال تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ)) [٥] ، قيل ان معناها نصيبين وقيل ضعفين .

ب- وتاتي للحظ قال تعال((وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)) [٦].

ت- وتاتي لمعنى العائل قال في لسان العرب [٧] ،(فالكافل العائل، كفله يكفله وكفله إياه وفي التنزيل العزيز) قال تعالى: ((وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)) [٨] .

ث- وقد تاتي بمعنى الضامن قال تعالى:((إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ))[٩]. أي أيهم يعولها ويضمن معيشتها.

٢- **التكافل الاجتماعي في الاصطلاح:**

تعاون أبناء المجتمع . فرادي وجماعات . على تحقيق الخير ودفع الجور.

عرف التكافل بالقول: (يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذو سلطان كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير وأن تكون كل القوى الإنسانية

في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار ثم المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة) [١٠].

وعرفه باحث آخر (أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء أكانوا أفراداً أو جماعات حكاماً أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم أو سلبية كتحريم الاحتكار بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده) [١١].

والتكافل الاجتماعي تضامُن أبناء المجتمع وتَسانُدهم، سواء كانوا أفرادًا أو طوائفَ، أو حكامًا أو مَحكومين؛ وذلك بدوافع إيمانية نبيلة، تهدف إلى غايات كريمة، تنتهي إلى تحقيق الرعاية الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية لجميع أبناء المجتمع؛ وذلك بتوفير الاحتياجات الأساسيَّة مِن مأكل ومشرَب ودواء وكساء وتعليم، بالإضافة إلى مُقاوَمة كل مَن يُحاولون خرْقَ سفينة المجتمع؛ كالمُحترفين، والمُحتكرين، والآكلين للأموال بالباطل بشتى الصور [١٢].

المطلب الثاني: مفهوم التكافل الاجتماعي في القرآن والسنة الشريفة .

تؤكد النصوص الصريحة من القرآن الكريم ، والسنة الشريفة أن المجتمع الإسلامي يقوم على التكافل والتعاون بل ولا يكون المجتمع مجتمعاً إسلامياً بالمعنى الشامل إلا إذا كان متكافلاً تسوده المحبة والوئام وتنتشر في سمائه العدالة ويظهر بين أوساطه الإيثار وهذا التكافل الاجتماعي – بهذا المفهوم الإسلامي – تُقرِّره الآياتُ القرآنية والأحاديث النبوية الآتية.

قال تعالى: ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً *الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً))(١٣).

وقال تعالى : ((لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ)) (١٤).وقال تعالى: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)) (١٥)

وقال تعالى :﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾(١٦) ، وقال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾(١٧) .

تخاطب الآيات السابقة في وضوح لا لبس فيه أصحاب الأموال ممن أعطاهم الله شيئا سعة في الرزق وتذكرهم بأن لهم إخواناً من الأقارب واليتامى والمساكين والسائلين وفي الرقاب كل أولئك بحاجة ماسة إلى مد يد العون لهم

ليعيشوا حياة ناعمة في ظلال الإسلام الوارفة وتشير الآيات إلى أن أصحاب الأموال إذا فعلوا ذلك فهم يحققون دعوة الإسلام التي جاء بها لتحقيق التكافل العام بين جميع أفراد الأمة وأبناء المجتمع ليعيش الجميع حياة آمنة هادئة ينعمون فيها بالأمن والرخاء والتعاون الصادق في ظل العقيدة الإسلامية السمحة.

ويقول الرسول(ص):((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا)) (١٨)، ويقول الرسول(ص): ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبُّ لنفسه)) (١٩)، ويقول الرسول(ص): ((مَثَلُ القائم على حدود الله والواقع فيها، كمَثَلِ قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضُهم أسفلَها، وكان الذين في أسفلها إذا استقَوا من الماء مرُّوا على مَن فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقْنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ مَن فوقَنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجَوا ونجَوا جميعًا.

ولعلَّ الحديث التالي أصرَحُ في الدلالة على التكافل الاجتماعي، انطلاقًا مِن واقع عمليٍّ عاشه الرسول مع المسلمين؛ فقد روى مسلم وأبو داود أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال – وكان في حال سفر وشدة –: ((مَن كان معه فضلُ ظهر، فليَعُدْ به على مَن لا ظهر له، ومَن كان له فضل زاد، فليعدْ به على مَن لا زاد له))، قال أبو سعيد الخدريُّ – راوي الحديث –: فذكَر مِن أصناف المال ما ذكَر، حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحد مِنا في فضل.

المبحث الأول :المبادئ الأساسية الايمانية

المطلب الأول: مبدأ الاخوّة الايمانية.

المبدأ لغة: مبدأ الشيء: أوله ومادّته التي يتكون منها، كالنواة مبدأ النخيل، أو يتركب منها، كالحروف، مبدأ الكلام، والجمع: مبادئ(٢٠).

الاخوّة لغة: مصدر أخا، أي صلة القرابة بين الاخوان والاخوات ، رابطة روحية تجمع البشر فكأنهم عائلة انسانية واحدة(٢١).

الايمان لغة: تشتق من الفعل آمن، ومعناه التصديق (٢٢).

المطلب الثاني: مبدأ المسؤولية العامة.

المطلب الثالث: مبدأ الايثار.

المطلب الرابع: مبدأ قيم التراحم.

اولا–مبدأ الاخوة الايمانية:

ان الإسلام الأصيل عمل جاهدا لبناء علاقات روحية اصيلة بين الناس أساسها الألفة وإصلاح النفوس والابتعاد عن التباغض والتنافر، بوقد عمل على تطوير ذلك وتدعيمه.

لذا كان من اوائل الاعمال التي قام بها النبي –صلى الله عليه واله وسلم– لبناء دولة هي المؤاخاة بين المهاجرين والانصار بعد ان كان بينهم الثأر واراقة الدماء(٢٣)، كما وصفهم الله تعالى في محكم كتابه: ((وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)) (٢٤).

فبعد المؤاخاة التي وثقها النبي –صلى الله عليه واله وسلم– بروابط المحبة والوئام والتكافل الاجتماعي الذي كان على رأس الأخوّة فيتقاسمون امورهم ويتعاونون فيما بينهم على الرغم من ضيق عيشهم[٢٥]، كما قال تعالى:((والذين تبوأو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم))[٢٦]، فالمبادئ التي احدثها الإسلام تُعد منطلقا بانعطافات حادة في تفكير اغلب المسلمين وسلوكهم، اذ كان الفرد العربي في الجاهلية متقوقعا منكفئاعلى نفسه حتى صار انسانا اجتماعيا يشعر بالاخر ويمد العون لاخوته كما أشار اليها القران الكريم: ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم اعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً))[٢٧].

واما السنة الشريفة كان لها اثر بالغ وعظيم في ترسيخ مبدأ التكافل الاجتماعي وتدعيمه من خلال مساعدة الاخوة بتسهيل امورهم، وقضاء حوائجهم وصون كرامتهم وعدم إراقة ماء وجوههم، فنسج أهل البيت –عليهم السلام– حالة التكافل الاجتماعي والتضامن الجماعي باشاعتهم اليها بين صفوف المجتمع، فكما ورد في الروايات عن اهل البيت–عليهم السلام– فعن رسول الله –صلى الله عليه واله وسلم– قال:"من سعى في حاجة أخيه المؤمن، فكانما عبد الله تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله"[٢٨]، وروي عنه –صلى الله عليه واله وسلم– قال:" من قضى لاخيه المؤمن حاجةً، كان كمن عبد الله دهره"[٢٩]، وقال ايضاً:" لا يكلف المؤمن أخاه الطلب اليه اذا علم حاجته"[٣٠]، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله –صلى الله عليه واله وسلم–" ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به"[٣١]، فخط الإمام علي –عليه السلام– طريقا كما رسم له النبي –صلى الله عليه واله– لقياس التفاضل الاجتماعي للمنفعة العامة بقوله –عليه السلام– :"خير اخوانك من واساك"[٣٢]، وسار اهل البيت –عليهم السلام – على هذا النهج العظيم الذي يعد معادلة الآهية لخدمة وبناء وترصين المجتمع، فقد روي عن محمد بن مسلم، قال:" أتاني رجل من أهل الجبل، فدخلت معه على الامام الصادق – عليه السلام–، فقال له عند الوداع : أوصني، فقال:أوصيك بتقوى الله وبرّ أخيك المسلم، وأحب له ماتحبّ لنفسك، وأكره له ما تكره لنفسك، وان سألك فاعطه... فوازره واكرمه ولاطفه، فانه منك وأنت منه"[٣٣].

ثانياً–مبدأ المسؤولية العامة:

المسؤولية: لغة: جمع سأل، مصدر صناعي من مسؤول، مسؤولية : حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته[٣٤].

العامة: لغة: جمع عوام، خلاف الخاصة، من ليسوا من الفئة المثقفة ثقافة عالية، الجمهور: الأوساط العامة يخاطب العامة، يخاطب العامةبأسلوب يسير، رجل من عامة الناس[٣٥].

توجه الإسلام وسعى الى انماء مبدأ الشعور بالمسؤولية، لذا عمل الصالحون – عليهم السلام– على تأصيل فكرة الشعور بالمسؤولية العامة بالمحاولات عملياً وتطبيقياً في جميع الاتجاهات السياسية والاقتصادية والتعليمية ولكي تكون المسؤولية عامة فلا بد من الإحاطة بها من جميع الجوانب عن طريق زرع الوعي الفكري الصحيح؛ لأن الفكر الخاطئ يؤدي الى هلاك الامم[٣٦]، كما في قوله تعالى:((فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنانٍ))[٣٧]، وكان النبي– صلى الله عليه واله وسلم– يؤكد على المسؤولية كما ورد عنه قال:"....أنا مسؤول، وانكم

مسؤولون"[٣٨]، لذا فان آل البيت –عليهم السلام– غرسوا الوعي الصالح في المجتمع لكي ترتفع الشعور بالمسؤولية من خلال التكافل الاجتماعي في اتجاهات متعددة ومنها الاتجاه السياسي ليكون المسؤول بأي شكل جاء الى السلطة بمستوى يليق بالمسؤولية؛ لأنه يتحكم برعيته من جهة الرّعاية والاعالة والاهتمام؛ لأنها شمولية تبدأ من رأس الهرم الى القاعدة[٣٩]، وحدّد الامام علي –عليه السلام– مهام كل انسان تجاه نفسه وعياله والمجتمع بقوله:"...أتقوا الله في عباده وبلاده، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم"[٤٠]، وقوله ايضاً:" كل امرئ مسؤول عما ملكت يمينه وعياله"[٤١].

ثالثاً–مبدأ الايثار:

الايثار: لغة: ايثار اسم، مصدرآثر، يعني تفضيل المرء غيره على نفسه[٤٢].

يعد الايثار من القيم الرفيعة التي تدفع الانسان الى الأفضلية في تقديم المصلحة العامة، أو منفعة الاخرين على نفسه، كما مدح الله تعالى صاحب هذه الصفة بقوله تعالى: ((ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون))[٤٣]، قال النبي –صلّى الله عليه واله وسلم –للأنصار: إن شئتم قسمتم لهم من دوركم وأموالكم، وقسمت لكم كما قسمت لهم، وإما أن يكون لهم القِسم، ولكم دياركم وأموالكم، فقالوا: لا، بل تقسم لهم من ديارنا وأموالنا ولا نشاركهم فِي القَسم، فأنزل اللَّه –عزوجل– هَذِهِ الآيات ثناء عَلَى الأنصار[٤٤]، وقوله تعالى:((الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون))[٤٥]، قال الكلبي: وهو زكاة المال، وروى عن السدي، عن أصحابه قال: هي نفقة الرجل على أهله وهذا قبل نزول آية الزكاة، ويقال: ينفقون أي يتصدقون صدقة التطوع، ويقال: هي عليهم جميعا التطوع والفريضة، فجعل الله تعالى صفات الذين يعملون بهذا العمل، وهذا يكون نكراناً للذات الذي يقدم الجوهر الحقيقي من أعماق النفوس، ومن خلال الايثار يكون الانسان منسوجاً برباط المحبة والمودة مع العباد الذي يسعى الى تلبية مايحتاجون اليه[٤٦]، وأشار الصالحون –عليهم السلام– الى مواصفات البشر من خير أو شر، فقال الامام الصادق –عليه السلام– :" خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الايمان البرّ بالاخوان، والسعي في حوائجهم، وان البار بالاخوان ليحبه الرحمن... ثم قال لجميل بن دراج: ياجميل، أخبر بهذا غرر أصحابك، قلت: جعلت فداك من غرر أصحابي؟ قال: هم البارّون بالاخوان في العسر واليسر، ثم قال: ياجميل، أما ان صاحب الكثير يهون عليه ذلك[٤٧]، فالقيمة الأساس للإنسان هي الايثار، لاسهامه في تفعيل مبدأ التكافل بعدما كان الانسان في الجاهلية أنانياً يقدم منفعته قبل كل شيء، فلما جاء الإسلام نهى عن ذلك، كما روي عن رسول الله –صلى الله عليه واله وسلم– عندما جاءه رجل شكا اليه الجوع، فبعث رسول الله–صلى الله عليه واله وسلم– الى بيوت ازواجه فقلن:" ماعندنا الا الماء، فقال الرسول –صلى الله عليه واله وسلم– : من لهذا الرجل الليلة؟ فقال الامام علي –عليه السلام– أنا له يارسول الله، واتى فاطمة– عليها السلام–، فقال لها ماعندك ياابنة رسول الله؟ فقالت: ما عندنا الا قوت العشيّة لكنّا نؤثر ضيفنا، فقال عليه السلام: ياابنة محمد –صلى الله عليه واله وسلم– نوّمي الصبية وأطفئي المصباح، فلما أصبح علي–عليه السلام– غدا على رسول الله –صلى الله عليه واله وسلم– فأخبره الخبرفلم يبرح حتى أنزل الله تعالى:((

ويؤثرون على أنفسهم)) [٤٨]، وفي رواية أخرى أن الامام علي-عليه السلام-:" اشترى ثوباً فأعجبه فتصدق به"[٤٩].

رابعاً-مبدأ قيم التراحم:

التراحم: لغة: مصدر تراحَمَ، فعل خماسي لازم، تراحم القوم، أي رحم بعضهم بعضاً[٥٠]، أكد الله سبحانه وتعالى على التراحم فيما بين الخلق كما في قوله تعالى:((ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم))[٥١] أنه بيانٌ من الله تعالى لا حرج على المرضى، ومن لا يجد ما ينفق في التخلف عن الغزو، أي الجهاد[٥٢]، وقوله تعالى:((من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما أحيا الناس جميعا))[٥٣]، أي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل، أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعاً، والمقصود منه تعظيم قتل النفس وإحياؤها في القلوب ترهيباً عن التعرض لها وترغيباً في المحاماة عليها فالحفاظ على أرواح الناس أساس للتراحم؛ لأنه قيمة تسهم بشكل مباشر في توجه الناس نحو التكافل بعيداً عن الحسابات والمكاسب المادية؛ لانها تتوجه بخط مستقيم موازٍ مع مبدأ الاخوة التي تهدف الى تحقيق اعلى درجة من المشاركة والتعاون بينهم[٥٤]، وبهذا الصدد أشار الامام علي-عليه السلام- بقوله: "من لم يرحم الناس منعه الله رحمته"[٥٥]، وقول الامام الصادق -عليه السلام- "إنّي لأرحم ثلاثة، وحقّ لهم أن يرحموا: عزيز أصابته مذلة، وغنيُ أصابته حاجة بعد الغنى، وعالم يستخفُ به أهله والجهلة"[٥٦]، فمفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام مفهوم واسع لايقتصر على الجانب المادي فحسب بل هنالك التكافل الادبي الذي يشعر الانسان بحب أخيه الانسان، وكذلك التكافل العلمي والذي يشعر بخدمة طلبة العلم، أي ان ضرورة التكافل المعنوي تكون مع العزيز الذي ألمّت به الذلّة.

المبحث الثاني: المبادئ الأساسية بتبادل المنفعة.

المطلب الأول: مبدأ التعاون والإحسان.

المطلب الثاني: مبدأ السيادة والسماحة.

المطلب الثالث: مبدأ الخدمة المتبادلة.

المطلب الرابع: مبدأ الجود والانفاق.

الخاتمة.

الأول: مبدأ التعاون والإحسان.

التعاون: لغة: العون الظهير على الامر، وأعانه على الشيء: ساعده، واستعان فلان فلاناً، وبه: طلب منه العون، وتعاون القوم : أعان بعضهم بعضاً[٥٧].

الاحسان: لغة: ضد الإساءة، مصدر أحسن ، أي جاء بفعل حسن، وهو على وجهين، احها الانعام على الغير، والأخر احسان في فعله[٥٨].

ان الإسلام مبنيُ على أساس متين من المعرفة الحقيقية لقيم الاحسان والتعاون في مختلف الاتجاهات وعلى كافة الأصعدة من خلال مصادر التشريع كما ذكر في القران الكريم قال تعالى: ((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب))[٥٩]، البر الطاعة لله في كل شيء، واتقاء المعصية والابتعاد عنها[٦٠]، لذا أشار القران الكريم الى ان الانسان خلق ضعيف لوحده لايستطيع عمل أي شيء الّا على وفق ظروف مناسبة، فالحياة اليومية ماهي الا مساعدة وتعاون بين الافراد، لكي يتوفر الشعور بالاطمئنان النفسي، وقد أوضحها النبي–صلى الله عليه واله وسلم– " من مشى في عون أخيه ومنفعته، فله ثواب المجاهدين في سبيل الله" [٦١]، قال رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم–: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[٦٢]، وروي عن الامام الصادق –عليه السلام– قال:"يأتي على الناس زمان من سأل الناس عاش، ومن سكت مات، قلت: فما أصنع إن أدركت ذلك الزمان؟ قال تعينهم بما عندك، فإن لم تجد فبجاهك"[٦٣]، فالتعاون يعد مفصلاً يربط الأخوة مع بعضهم، ويعمل على إنجاز الاعمال بأسرع وقت، ويعمل على إتمام العمل بأبهى صورة وتنظيم وقت الإنسان، في توفير الجهد، فبدل أن يتحمل الشخص مسؤولية العمل وحده يقسم على مجموعة فيسهل عليهم الجهد، والأشخاص المتعاونون يصعب هزيمتهم، لهذا يجب على الأمة أن تتعاون ضد أي باغ، والمتعاون ينال رضا الله ويتقرب اليه؛ لأنه يأمرنا بالتعاون ويستطيع المجتمع ان يقضي على الأنانية و حب الذات بتلك الروح، أما الإحسان يعد قيمة عليا تؤدي الى تنمية روح التكافل وتنقل الانسان الى حالة نكران الذات وتجعل شعور التضامن بالعمل الجماعي اساسياً مع أبناء جلدته؛ لان جوهر الاحسان هو العمل الطوعي بالخير، فالانسان الذي يساعد الاخرين بالعطاء وبذل الجهود لخدمة الناس مقروناً بالاحسان هذا هو غاية الإسلام كما في قوله تعالى:((إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءِ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذّكرون)) [٦٤] ، وقوله تعالى: ((هل جزاء الاحسان الا الاحسان)) [٦٥] ؛ لأن العدل والإحسان صفتان متلازمتان دائماً، ولا يكون مع العدل إساءة قط، وعلى هذا تكون هذه الآية الكريمة مبدأ وقاعدة لتشريع قرآني كريم للإصلاح بين الجماعات، سواء كبرت تلك الجماعات أو صغرت، وسواء كانا بلدين أو قبيلتين، أو كانتا أسرتين أو كانا أخوين أو جارين مهما وقع النزاع يجب أن يكون هناك صلح[٦٦]، فالمحسن بالاداء خيراً من الكلام أي الجهد المبذول مادياً بالعطاء كما وصفه الله تعالى بقوله: ((لن تنالوا البر حتى تنفقوا ممّا تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم)) [٦٧]، والتي ذَكَرَها اغلبُ الْمُفَسِّرِينَ بانها خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وانه كلام مستأنف سِيقَ لِبَيَانِ مَا يَنْفَعُ

الْمُؤْمِنِينَ ويقبل منهم إِثْرَ بيان ما لا ينفع الكافرين ولا يقبل منهم الخطاب لَا يَزَالُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ؛ لان من سُنَّة القرْآنِ أَنْ يَقْرِن الكلام في الايمان بذكرِ آثَارِهِ مِنَ الاعمال الصالحة وأَدَلُّهَا عليه بذل المال في سبيل الله، فلمَّا حاجَّ أَهْلَ الكتاب في دعاويهم فِي الْإِيمان وَالنُّبُوَّةِ بأنهم شعب الله الخاص وأن النُّبُوَّة محصورة فيهم، وأنهم لا تمسُّهُمُ النَّار إلَّا أَياما معدوداتٍ خَاطبهم فِي هذه الْآية بآية الْإِيمان وميزانه الصحيح الذي يُعرفُ به المرجوح والرَّجِيحُ، أي إن الانفاق في سبيل اللهِ منَ المحْبُوبات مع الْإِخلاص وحُسْن النِّيَّة كأَنّه يقول: إِنَّكُمْ أيهَا المدَّعُونَ لتلك الدَّعاوي والمفتخرون بالكتاب الْإِلهيِّ واتِّصالِ حبل النسب بالنبيِّين قد أُحضرتْ أنفسكم الشُّحُّ وآثرتُم شهْوة الْمال على مَرْضاة اللهِ وإذا أَنْفق أَحَدكُم شيْئًا ما فإِنَّمَا يُنفِقُ من أَرْدى ما يملكُ وأَبْغضه إِليه وأَكْرهه عندهُ؛ لأن محبَّةَ كرائم الْمَال في قلبه تعلُو محبَّة الله تعالى، والرَّغْبة فِي ادِّخَاره تَفُوقُ لديه الرَّغبة فيما عند رَبِّه من الرِّضى والمثوبة، ولن تنالُوا الْبِرَّ فتُعدُّوا من الأبرار الذين هم المؤْمنون الصَّادِقونَ، "حتى تُنفِقوا مما تحبُّون"، فحذف ذكرَ الْإِيمَان استغْنَاء بذكر أكبر آياته وأوضح دلالاته، وهي إِنْفَاقُ المحبوبات وبذل المشتهيات، والمتبادر مِن الْإِنْفَاق هو المالُ؛ لأن شأنه عند النُّفوس عظيم حتَّى إِنَّ الإِنسانَ كثيراً ما يخاطر بنفسه ويستهل بذل روحهِ للدفاع عن ماله أَو المحافظة عليه [٦٨]، وَيؤَيِّدُهُ قوله عز وجل: ((ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وءاتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين غي البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون))[٦٩]، أي أَنَّ الْمَالَ يعمُّ النَّقدين وغيرهما ممّا يتموله الناس، وشرط الْبِرِّ بذلُ بعض ما يُحبه الْإِنسان مِن كلِّ شيءٍ حتَّى الطَّعام وهو أحد الوجهين في تفسير قوله تعالى:((ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً))[٧٠]، أَي على حبهم إياه، أو ان الضمير عائد على لفظ الجلالة، لأَجْلِ حُبه – عزوجل– والمال يجمع جميع المحبوبات ويوصل إِلَيْها[٧١].

اختلف المفسرون في معنى "الْبِرِّ" الْمراد هنا الذي لا ينالهُ المرءُ، أي يُصيبه ويُدْرِكهُ إِلَّا إِذَا أَنْفق ممَّا يُحِبُّ فقيل: هُوَ بِرُّ اللهِ تَعَالَى وَإِحْسَانُهُ مُطْلَقًا، وقيل: الْجَنَّةُ، وقيل: هُوَ مَا يَكُونُ بِهِ الْإِنْسَانُ بَارًّا وَهُوَ مَا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُهُ في قوله تعالى:((ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الاخر))[٧٢] الْآيَةَ، وَفِيهَا" وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى "، ان هذه الْآيَةِ جَعَلَت إِيتَاء المال على حُبِّهِ شعبة من شعب البِر، كما جَعل في قوله تعالى:" إِطْعَامَ الطَّعَامِ عَلَى حُبِّه صفة من صفات الابرار، ولكنه في الاية التي نفسرها جعل الْإِنْفَاقَ مِمَّا يُحِبُّ غاية لاينال الْبِرَّ إِلَّا بِالِانْتِهَاءِ إِلَيْهَا، وفهم بعضهم أَنَّ مَنْ أَنْفَقَ ممَّا يُحِبُّ كان بَرًّا وإِن لم يَأْتِ بسائر شُعَب الْبِرِّ من الْإِيمان بجميع أركانه وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة والوفاء بالعهد والصبر فِي الْبَأْساء وَالضَّرَّاء وحين الْبَأْس، وليس ما فُهم بصوابٍ، إِنَّما الصّوابُ أن الانسان لا يكون بارًّا بالقيام بِهذه الْخصال حَتَّى ينتهي إِلى هذه الخصلة الْإِنفاق ممَّا يُحِبُّ، وما جعلها غاية إِلَّا وهي أشق على النفوس وأبعد عن الحصول إِلَّا من وفَّقَهُ اللهُ تعالى ووهبهُ الكمال [٧٣]، فالانفاق غير الزكاة، خِلافًا لما نُقل في بعض الروايات، فَإِنَّ الزكاة قد عُدَّتْ في آية البقرة مِنْ شُعَبِ الْبِرِّ وأَركانه بعد ذكرِ إيتاء المال على حُبِّهِ، فدلَّ ذلك على أَنَّهما متغايران ولا يشترط في الزَّكاة أن تكون مما يُحِبُّ المؤدِّي، بل ورد أَمْرُ العاملين عليها باتقاء كرائم أَموال النَّاسِ، وَمِن فضله عزوجل علينا

أَن اكْتَفَى مِنَّا فِي نَيْلِ الْبِرِّ بِأَنْ نُنْفِقَ مِمَّا نُحِبُّ، وَلَمْ يَشْتَرِطْ عَلَيْنَا أَنْ نُنْفِقَ جَمِيعَ مَا نُحِبُّ[٧٤]، واكّد الصالحون على أهمية الاحسان كما أُثِر عنهم: قال الامام علي عليه السلام:"رأس الايمان الاحسان الى الناس"[٧٥]، وقال ايضاً:" نِعم زاد المعاد الاحسان الى العباد"[٧٦].

فالشعور بالتكافل الاجتماعي شواهد وعلى مر الزمن كما روي عن حسين بن نعيم قال: قال ابو عبد الله الصادق عليه السلام- :"أتحب اخوانك ياحسين؟ قلت: نعم، قال: تنفع فقرائهم؟ قلت: نعم، قال: أما إنه يحق عليك أن تحب من يحب الله، أما والله لا تنفع منهم أحداً حتى تحبه، أتدعوهم إلى منزلك؟ قلت: نعم، ما آكل الّا ومعي منهم الرجلان و الثلاثة والاقل والأكثر، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إن فضلهم عليك أفضل من فضلك عليهم، فقلت: أطعمهم اطعامي وأوطئهم رحلي ويكون فضلهم عليّ أعظم؟ قال: نعم، إنهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك"[٧٧]، فرؤية الامام -عليه السلام- للمحتاجين بأنهم افضل؛ لأنهم قربّوه الى الله تعالى درجة.

الثاني: مبدأ السيادة والسماحة.

السيادة لغة: من سود، فلان سيد قومه اذا اريد به الحال وسائد اذا أريد به الاستقبال، والجمع سادة[٧٨].

السماحة لغة: مادة سمح تدل على سلاسة وسهولة، والمسامحة المساهلة وسماحه، أي جاد وأعطى، أو وافق على ما أريد منه، وتعدّان قيمتان اساسيتان تحددان الانطلاقة نحو التكافل، إمّا بصورة واضحة، وجلية أو باطنية، وأما الصالحون فقد حددوها بخارطة إسلامية إنسانية أكّدها النبي الاكرم – صلى الله عليه واله- بقوله:"سيّد القوم خادمهم"[٧٩]، أي تواضع لاهله ولقومه فيكون الانسان قد رسم سلوكهم الواقعي والعملي بالتعامل مع الاخرين، فالسيادة على نحوين مرة سيادة نَسَبيّة التي تنتهي بنسب الى المعصومين- عليهم السلام-، وأخرى اجتماعية التي أكّد عليها الصالحون فوصفهم الإمام علي-عليه السلام- قال:"السيد من تحمّل المؤونة، وجاد بالمعونة"[٨٠]، وقال أيضاً: "السيد من تحمل أثقال إخوانه"[٨١]، وقال أيضاً:"ماساد من احتاج إخوانه الى غيره"[٨٢]، فالتواصل المستمر بالمشاركة الاجتماعية وزرع المحبة في قلوب الاخرين هي أساس السيادة، وأما السماحة هي صفة أرادها الله تعالى للدين الإسلامي ان تكون قاعدة ينطلق منها الإسلام كما في قوله تعالى: <u>((فبما رحمة من الله لِنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين))</u>[٨٣]، فالسماحة التي ثبتّها الإسلام بالتسامح عن طريق اهل البيت – عليهم السلام- والصالحين الذين تبعوا مسيرتهم من أيام فتح مكة عندما جاء -صلى الله عليه واله وسلم- وجيشه عشر الاف مقاتل فما كان الّا أخ وابن عم كريم وهذه بشهادة اعدائه حتى رفع شعار: (اليوم يوم المرحمة اليوم تصان الحُرُمة)، حتى أوصى المعصومون -عليهم السلام- انفسهم وابناءهم، كما روي عن الامام علي – عليه السلام- حينما سأل ولده الامام الحسن -عليه السلام- فقال له:" يابني ماالسماحة؟ قال: البذل في العسر واليسر"[٨٤]، وفي رواية أخرى قال:"إجابة السائل وبذل النائل"[٨٥].

الثالث: مبدأ الخدمة المتبادلة.

الخدمة لغة: جمع خدمات لغير المصدر، خَدَمَ، فهو خادِمُ[٨٦].

تعد الخدمة حالة متحضرة إيجابية بين الفائدة والمنفعة، وهذه تتَصَب في مصلحة الشخص نفسه، ولابد من التمييز بين مصطلحي الخدمة والاستخدام، فالخدمة تكون ضرورية تساعد الانسان وتسهم مباشرة في العيش الرغيد الذي يطمح الإسلام إليه، واما الاستخدام اجتماعياً فيكون الاستهانة والاستغلال بالشخص الاخر[٨٧]، ولابد ان نشير الى الأسس التي وضعها الشارع المقدس عن طريق لسان المعصومين – عليهم السلام– فروي عن النبي الاكرم– صلى الله عليه واله وسلم– قال:"أيّما مسلم خدم قوما من المسلمين إلا أعطاه مثل عددهم خدّاماً في الجنّة"[٨٨]، وروي عن الصادق –عليه السلام– قال:" المؤمنون خدم بعضهم لبعض، قلت: أي جميل، وكيف يكونون خدماً بعضهم لبعض؟ قال: يفيد بعضهم بعضاً"[٨٩] ، ولاسيما الخدمة اذا كانت قربة لله تعالى قال رسول الله –صلى الله عليه واله وسلم–:"ما من مجاهدٍ يخدم المجاهدين في سبيل الله إلا أوجب الله له الجنة، وحرمه على النار، وسبق أصحابه إلى الجنة بسبع مئة عامٍ"[٩٠].

الرابع: مبدأ الجود والانفاق:

الجود لغة:المطر الغزير، وجاد الرجل بماله يجود جوداً بالضم، الذي يعطي بلا مسألة صيانة للآخذ من ذلّ السؤال، ويفسر بالسخاء[٩١].

الانفاق لغة: مصدر أنفق، يقال: أنفق الرجل اذا افتقر وذهب ماله يستعمل بمعنى صرف المال[٩٢].

ان الهدف الإلهي للرسالات السماوية هو خدمة الانسان، لذا أراد من المسلمين ان يستشعروا هموم اخوتهم، وخاصة أولئك الذين هم أحوج لقضاء حوائجهم أو الذين ضاقت عليهم سبل العيش بكرامة وما لهذا الموقف الّا أهلها الذين يتسابقون الى عطاء التواضع ورفعة الشأن التي وصفها الامام علي –عليه السلام– بقوله:"إنّي لأرفع نفسي أن تكون حاجة لا يسعها جودي"[٩٣]، فيعد الجود عند الصالحين مخالفة الهوى والانتقال من حب الملذات والابتعاد عن البخل الى بذل العطاء، ولكن بشرط الاستقامة لا الانحراف والبذخ والرياء والعبث، وبيان النعمة على وجوه العباد كما في قوله تعالى:((وأما بنعمة ربك فحدّث))[٩٤]، معناه فحدث الناس بما آتاك الله من الكرامة، ويقال: معناه اجهر بالقرآن في الصلاة، وروى أبو سعيد الخدري،– رضي الله عنه– عن النبيّ –صلّى الله عليه واله وسلم– أنه قال: «إن الله تَعَالَى جَمِيلٌ، يُحِبُّ الجَمَالَ، وَيُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةَ عَلَى عَبْدِهِ»[٩٥]، يعني: يشكر بما أنعم الله تعالى عليه، ويحدث به، فيظهر على نفسه أثر النعمة [٩٦]، فتوجهات مدرسة الصالحين عميقة تعكس توجهاتها ايجابياً لمصلحة الفرد والمجتمع تحددت بثلاثة خطوط كما روي عن ابي عبدالله –عليه السلام–:" لا يكون الجواد جواداً الا بثلاثة : يكون سخياً بماله على حال اليسر والعسر، وأن يبذله للمستحقّ، ويرى أن الذي أخذه من شكر الذي أسدى إليه أكثر مما أعطاه"[٩٧]، فمسألة الإنفاق لها معان عديدة، لذا ان فضلها ورفعتها منزلة هي في السر والعلن ويمتدح العاملون فيه لذا يأمرنا الله –عزوجل– في محكم كتابه قال تعالى: ((يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنيُ حميد))[٩٨]، المعنى أنفقوا من جَيِّد ما كسبتموه من تجارة، ومن وَرِقِ وعين، وكذلك من جَيِّد الثمار، ومعنى (أنفقوا): تصدقوا وكان قوم أتوا في الصدقة بردىءِ الثمار[٩٩]، وروى عن النبي – صلى الله عليه واله وسلم – " أنه أمر السعاة إلا يُخَرصَ الجُعْرُورَ وَمِعَى الفارة"؛ وذلك أنها من رديءِ النخل، فأمر ألا تخرص عليهم لئلا يعتلوا به في الصدقة"[١٠٠]، وقوله –عزّوجلَّ–: (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ

تُنْفِقُونَ)، أي لا تقصدوا إلى بخس المال، وردائة الثمار فتتصدقوا به، وأنتم (تعلمون أنكم) لا تأخذونه إلا بالإغماض فيه، ومعنى: (وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ)، يقول: أنتم لا تأخذونه إلا بوَكْس، فكيف تعطونه في الصدقة، وقوله –عزَّوجلَّ–: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)، أي لم يأمركم بأن تتصدقوا من عَوَزٍ، ولكنه لاختبَاركم، فهو حميد على ذلك وعلى جميع نعمه [١٠١]، وذكر القران في آية أخرى مدح فيها المنفقين الذين لايرجون من مساعدة الاخرين الا وجه الله تعالى كما في قوله سبحانه: ((الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون))[١٠٢]، فان استيفاء المال والانفاق في سبيل الله تعالى هي دلالة بارزة يرجى منها الثواب والاجر ورضا الله تعالى وتقربا اليه فكان وعده –عزوجل– حسنا رأفة ورحمة وتلطف من عزيز مقتدر[١٠٣].

الخاتمة

بعد ان اختتمت بحثي الموسوم ب" أُسس التكافل الاجتماعي عند الصالحين" فتوصلت الى عدة نتائج اجملتها بنقاط كالاتي:

١- المبادئ التي احدثها الإسلام تُعد منطلقا بانعطافات حادة في تفكير اغلب المسلمين وسلوكهم، اذ كان الفرد العربي في الجاهلية متقوقعا منكفئاعلى نفسه حتى صار انسانا اجتماعيا يشعر بالاخر ويمد العون لاخوته كما أشار اليها القران الكريم .

٢- نسج أهل البيت –عليهم السلام– حالة التكافل الاجتماعي والتضامن الجماعي باشاعتهم اليها بين صفوف المجتمع .

٣- العدل في الإسلام ركن من أركان تنظيم الإسلام للحياة وهو مقصد من المقاصد الشرعية التي يجب أن تدور الأحكام في فلكها، والمزج بين العدل والمساواة، يمثل إحدى صور عظمة الإسلام، فلا حرية ولا مساواة بلا عدل، وبلا شريعة حاكمة للناس جميعاً على قدم المساواة.

٤- ان من اسس التكافل الاجتماعي عند الصالحين هو الشعور بالوحدة الإيمانية وهذا الشعور له قيمته الكبرى في قيام الجماعة شعورياً ، إذا كان سدّ الحاجة له قيمته في قيامها عملياً ، وما أراد الإسلام بالتكافل مجرّد سدّ الخلة ، ومسك البطن ، وتلافي الحاجة وحسب ، بل أراده تهذيباً وتزكية وتطهيراً لنفس المعطي ، وتأجيج مشاعره الإنسانية تجاه أُخوته المعوزين والفقراء ، وتذكيره بنعمة الله عليه.

٥- يعدُالاجتهاد بمثابة الأرضية التي تقف عليها الاجتهادات الأخرى، وبمثابة الضمانات والضوابط التي تحمي الإبداع البشري من الانتحار والسقوط، وتجعل منجزاته في خدمة الحياة والإنسان ومنهج الله ، لذا فمن خلاله كان له دور في في البناء التكافلي.

٦- ان القران الكريم عدّه ركناً من اركان الدين وطريقا سلوكيا تطبيقياً من جانب العبادات والمعاملات .

الهوامش

(١) الازهري –تهذيب اللغة : ١٣ /٩٦..

(٢) ظ : ابن فارس – معجم مقاييس اللغة : ١٤/١.

(٣) ظ : الجوهري –الصحاح : ٩٠٣/٣.ابن منظور –لسان العرب : ٦/٦.

(٤) ابراهيم مصطفى ، احمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار –المعجم الوسيط : ١٧/١.

(٥) الحديد : ٢٨.

(٦) النساء : ٨٥.

(٧) النساء : ٨٥.

(٨)آل عمران : ٣٧.

(٩) آل عمران : ٤٤.

(١٠) أبو زهرة ،محمد ، في المجتمع الإسلامي ص ٤.

(١١) علوان ، عبد الله ، التكافل الاجتماعي في الإسلام ص ١٢.

(١٢) عويس، أ.م.د عبد الحليم ، ميزان الإسلام ، دار النشر، إدارة الثقافة الإسلامية ، الكويت، سلسة روافد (٤٦) ،٢٠١١م.

(١٣) النساء: ٣٦ – ٣٩.

(١٤) البقرة: ١٧٧.

(١٥) المائدة: ٢.

(١٦) الحديد: ٧.

(١٧) الحديد: ٧.

(١٨) معجم الغني الزاهر، د. عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر.٢١١.

(١٩)الحر العاملي ، وسائل الشيعة، ،ج ١٢، ص ٢١٢ ،وانظر ،العلامة المجلسي، بحار الأنوار،ج ٧١، ص ٣٣٨.

(٢٠) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٨١.

(٢١) المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، ط٥–٢٠١١م، مكتبة الشروق الدولية، ٢٣٤ .

(٢٢) معجم الغني الزاهر، د. عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر.٢١١.

(٢٣) ينظر: التكافل الاجتماعي في مدرسة اهل البيت عليهم السلام، عباس ذهيبات، الناشر: مركز الرسالة، مطبعة: ستاره–قم، ط١–١٤٢٥هـ،٩.

(٢٤) سورة ال عمران:١٠٣.

(٢٥) ينظر: التكافل الاجتماعي، عباس ذهيبات،٩.

(٢٦) سورة الحشر:٩.

(٢٧) سورة ال عمران: ١٠٣.

(٢٨)الصدوق من لايحضره الفقيه، ٢ ،١٩٠، دار: جماعة من المدرسين، قم–ايران، ط٢–هـ١٤٤٠.

(٢٩)الامالي، الشيخ الطوسي،٤٨١/١٧.

(٣٠)الصدوق، الخصال، ٦١٤، دار: جماعة من المدرسين، قم–ايران، ط٢–١٤٤٠هـ.

(٣١)الموصلي ت: ٣٠٧هـ ، أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، مسند أبو يعلى ، ل المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، ط١، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ ، ٩٥/٢.

(٣٢)الواسطي، ٣٢٨هـ ، علي بن محمد الليثي، عيون الحكم والمواعظ، دار الحديث – ايران، ط١–١٣٧٦ش.

(٣٣) الامالي، الشيخ الطوسي، ٩٧/٤.

(٣٤) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٨١.

(٣٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢٣٤ .

(٣٦) ينظر: ذهيبات، عباس التكافل الاجتماعي،٢٤.

(٣٧) سورة الانفال:١٢.

(٣٨) الكليني، أصول الكافي، باب مانص الله تعالى ورسوله على الائمة ع واحدا فواحد٦/٢٩٠.

(٣٩) ينظر: التكافل الاجتماعي، ٢٥.

(٤٠) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ٢٨٨/٩.

(٤١) عيون الحكم والمواعظ، علي الليثي الواسطي، ٣٩٦.

(٤٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢٣٤ .

(٤٣) سورة الحشر:٩.

[٤٤]الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن المحقق: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية– مصر،ط١، ١٤٥/٣.

[٤٥] سورة البقرة: ٣.

[٤٦] ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، ٢٢/١.

[٤٧] الكافي، الكليني، باب معرفة الجودوالسخاء من كتاب الزكاه، ١٤/٤–١٥.

[٤٨] تفسير نور الثقلين، عبد علي الحويزي، تحقيق السيد علي عاشور، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، ٢٨٦/٥.

[٤٩] مناقب ال ابي طالب،ابن شهر اشوب(ت٥٨٨هـ)، تحقيق: يوسف البقاعي،الناشر: دار الأضواء،٣٦٦/١.

[٥٠] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢٣٤ .

[٥١] سورة التوبة:٩١.

(٥٢)ينظر: القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ٣٠٩٨/٤

(٥٣) سورة المائدة:٣٢.

(٥٤) ينظر: البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١– ١٤١٨هـ، ١٢٤/٢.

(٥٥)الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ٤٢٨.

(٥٦) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق،باب٤، ٥٨٣٧/٣٩٤.

(٥٧) لسان العرب، ابن منظور، ٣٦/٢.

(٥٨) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١٣٤.

(٥٩) سورة المائدة: ٢.

(٦٠) ينظر: : تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤٢٣ هـ، ٥٨/١.

(٦١) ثواب الاعمال، الشيخ الصدوق، ٢٨٨.

[٦٢] صحيح مسلم ، باب فضل الاجتماع على قراءة القران، ٢٠٧٤/٤.

[٦٣] الكافي، الكليني، باب النوادر من كتاب الزكاة، ٤٦/١-٤.

[٦٤] سورة النحل: ٩٠.

(٦٥) سورة الرحمن: ٦٠.

(٦٦) ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط١- ١٤١٨ هـ، ٢٩٥/٣.

(٦٧) سورة ال عمران:٩٢.

(٦٨) ينظر: بن علي رضا ت ١٣٥٤هـ، محمد رشيد بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م،٣٠٥/٣-٣٠٦.

[٦٩] سورة البقرة: ١٧٧.

[٧٠] سورة الانسان: ٨.

[٧١] ينظر:تفسير المنار، محمد رشيد رضا،٣٠٥/٣.

[٧٢] سورة البقرة: ١٧٧.

[٧٣] ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا،٣٠٥/٣.

[٧٤] ينظر: م . ن ،٣٠٥-٣٠٦.

[٧٥] عيون الحكم والمواعظ، الليثي، ٢٦٤.

[٧٦] م . ن، ٤٩٤.

[٧٧] أصول الكافي، الكليني،باب اطعام المؤمن من كتاب الايمان والكفر،ح٨ ، ٢٠١/٢-٢٠٢.

[٧٨] مختار الصحاح: مادة سود، ٩٨.

[٧٩] مكارم الاخلاق، الطبرسي، ٢٥١، منشورات الشريف الرضي، ط٦-١٣٩٢هـ.

[٨٠] عيون الحكم والمواعظ، الليثي، ٤٨.

[٨١]م . ن، ٦٠

[٨٢] م . ن،٤٨٢.

[٨٣] سورة ال عمران:١٥٩.

[٨٤] مشكاة الانوار، علي الطبرسي، ٤٨٢.

[٨٥] معاني الاخبار، الشيخ الصدوق، ٤٠١، انتشارات إسلامي، ط١- ١٣٦١ش.

[٨٦] لسان العرب، ابن منظور، ٣٦/٢.

[٨٧] ينظر: التكافل الاجتماعي، عباس ذهيبات،٣٠.

[٨٨] أصول الكافي، الكليني، باب في خدمة المؤمن من كتاب الايمان والكفر، ٢٠٧/١ح٢.

[٨٩] أصول الكافي، الكليني، باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض من كتاب الايمان والكفر، ١٦٧/٩ح٢.

[٩٠] موجبات الجنة، معمر بن عبد الواحد بن رجاء بن عبد الواحد بن محمد بن الفاخر، أبو أحمد القرشي العبشمي السمرقندي الأصبهاني (ت: ٥٦٤هـ)، المحقق: ناصر بن أحمد بن النجار الدمياطي، الناشر: مكتبة عباد الرحمن، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢، ٨٦/١.

[٩١] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١٣٤.

[٩٢] لسان العرب، ابن منظور، ٣٦/٢.

[٩٣] عيون الحكم والمواعظ، الليثي، ١٦٩.

[٩٤] سورة الضحى:١١.

[٩٥] الجامع الكبير، أبو عيسى الترمذي(سنن الترمذي)، المحقق: بشار عواد معروف، سنة النشر ١٩٩٦، الناشر: دار الغرب الاسلامي،١ /٢١ح٢٩٦٣.

[٩٦] ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)،١٩٢/٣.

[٩٧] تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٣١٨، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢-١٤٠٤هـ.

[٩٨] سورة البقرة: ٢٦٧.

[٩٩] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١-، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م،٣٥٠/١.

[١٠٠] الموطأ، الامام مالك بن انس، الناشر: المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م، بيروت لبنان، ٢٧١/١ .

[١٠١] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج،٣٥٠/١.

[١٠٢] سورة البقرة:٢٦٢.

[١٠٣] ينظر: الميزان في تفسير القران، العلامة محمد حسين الطباطبائي، الناشر: دار الاعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ٤٠٠/٢.

قائمة المصادر

- خير ما نبتدأ به القران الكريم

(١) التكافل الاجتماعي في مدرسة اهل البيت عليهم السلام، عباس ذهيبات، الناشر: مركز الرسالة، مطبعة: ستاره–قم، ط١–١٤٢٥هـ.

(٢) من لايحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، دار: جماعة من المدرسين، قم–ايران، ط٢–هـ١٤٤٠.

(٣)الامالي، الشيخ الطوسي.

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق، ٦١٤، دار: جماعة من المدرسين، قم–ايران، ط٢–١٤٤٠هـ.

(٥) مسند أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي ت: ٣٠٧هـ، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، ط١، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

(٦) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ٣٢٨، دار الحديث – ايران، ط١–١٣٧٦ش.

(٧) أصول الكافي، الكليني، باب مانص الله تعالى ورسوله على الائمة ع واحدا فواحد٦/٢٩٠.

(٨) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء(ت٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار مصر، ط١.

(٩) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ).

(١٠) تفسير نور الثقلين، عبد علي الحويزي، تحقيق السيد علي عاشور، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي.

(١١)مناقب ال ابي طالب،ابن شهر اشوب(ت٥٨٨هـ)، تحقيق: يوسف البقاعي،الناشر: دار الأضواء.

(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م .

(١٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث الـــــــعربي – بيروت، ط١ – ١٤١٨ هـ.

(١٤) تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤٢٣هـ.

(١٥) ثواب الاعمال، الشيخ الصدوق، ٢٨٨.

(١٦) صحيح مسلم .

(١٨) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط١– ١٤١٨ هـ.

(١٩) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ت ١٣٥٤هـ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

(٢٠) مكارم الاخلاق، الطبرسي، ٢٥١، منشورات الشريف الرضي، ط٦–١٣٩٢هـ.

(٢١)مشكاة الانوار، علي الطبرسي.

(٢٢) معاني الاخبار، الشيخ الصدوق، ٤٠١، انتشارات إسلامي، ط١– ١٣٦١ش.

(٢٣) موجبات الجنة، معمر بن عبد الواحد بن رجاء بن عبد الواحد بن محمد بن الفاخر، أبو أحمد القرشي العبشمي السمرقندي الأصبهاني (ت: ٥٦٤هـ)، المحقق: ناصر بن أحمد بن النجار الدمياطي، الناشر: مكتبة عباد الرحمن، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢.

(٢٤) الجامع الكبير، أبو عيسى الترمذي(سنن الترمذي)، المحقق: بشار عواد معروف، سنة النشر ١٩٩٦، الناشر: دار الغرب الإسلامي.

(٢٥) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

(٢٦) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٣١٨، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢-١٤٠٤هـ.

(٢٧) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١-، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٢٨) الموطأ، الامام مالك بن انس، الناشر: المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م، بيروت لبنان.

(٢٩) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج.

(٣٠) الميزان في تفسير القران، العلامة محمد حسين الطباطبائي، الناشر: دار الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان.